تلفت الانتباه، أكثر من أي شيء آخر بسبب استمرارها طيلة خمس عشرة سنة مضت، هي الارتفاع الشديد في عدد العاملين الذين يتعرضون إلى الاعتقال قبل تنفيذ أي عمل عسكري اطلاقاً، يقابلهم العدد اليسير للذين ينجحون في القيام بأكثر من عمليتهم الأولى. فشهد العمل السري نسبة تقلب مرتفعة جداً في العنصر البشري ولم يحتفظ بالعناصر المخضرمة.

نجم هذا الوضع، على ما يبدو، عن السعي الدائم لسلوك الطريق الاقصر، حيث أراد الطرف الفلسطيني أن يحقق أهدافاً سياسية آنية مما تطلب الرمي بالعناصر البشرية المتوفرة اعتباطياً في الميدان للقيام بعمل عسكري فوري، بغض النظر عن حقيقة الامكانيات والظروف الميدانية. فتعرّض عاملو الداخل إلى معدل استنزاف أعلى من اللازم بسبب اضطرارهم إلى القيام بحجم من النشاط لم يكونوا مهيئين له تنظيمياً وتدريبياً. وكلما فقدت حركة المقاومة في الداخل العناصر المدرَّبة، كلما اضطرت إلى اللجوء إلى عناصر جديدة «طازجة» غير مجرَّبة لا تتمتع سوى بحماسها وإخلاصها وليس بخبرتها وقدراتها الفنية. وبسبب ذلك وجدت القيادة الفلسطينية نفسها في مأزق تمثل مخرجه الوحيد في اعتماد الصبر في بناء الأفراد الكفؤين، ضمن اختصاصات متنوعة، للقيام بعمل عسكري متقدم نوعياً يتمتع بالاستمرارية ويأتي بالمردود السياسي ـ المعنوي على المدى الأطْوَل. غير أنه لا يبدو أن أي تنظيم فلسطيني قد سلك هذا البديل، لأن الجميع يبحثون عن تسجيل «النقاط السياسية»، ولأن أحداً لم يمتلك رؤيـة سيـاسية بعيدة المدى يبني لأجلها اصلاً. ويفسر ما سبق الصفة الموسمية للنشاط العسكـري الفلسـطيني في الارض المحتلة، بل ويفسر الصفة الموسمية لكل اوجه النشاط الفلسـطيني في الداخل التي تدار من الخارج مما منع بناء استراتيجية منظمة للمقاومة المدنية ايضاً، حيث عجزت حركة المقاومة عن بناء عمل عسكري ـ تنظيمي دؤوب يكتسب صفـة الاستمرارية من جهة، ولم تنتفض بحماس، من الجهة الأخرى، لتقدم الامكانيات المالية السخية لتنفيذ العمليات بقدر اندفاعها حين أرادت اثبات الوجود بمناسبة سياسية معينة.

وإنه لمن الملفت للانتباه أن الهدف السياسي الذي كانت القيادة الفلسطينية تسعى الى تحقيقه بواسطة فورة العمليات العسكرية او الانتفاضات الشعبية في الداخل، غالباً ما كان يتعلق بتـطورات سيـاسيـة ـ دبلومـاسية خارج الارض المحتلة، وقلما ارتبط بالتأثير على فلسـطينيي الداخل أو حتى على الاسرائيليين. إن الغريب في الأمر، أيضاً، هو أن القيادة الفلسطينية لم تعِ، على ما يبدو، أن وجود أداة عسكرية أو سياسية منظمة فاعلة على شكل تنظيم سري أو جماهير مندفعة جاهزة للتحرك عند «كَبْسَة زر» حسب رؤية القيادة العليا للأولويات، يعتمد على خلق وبناء وصيانة العمل السري المنظم بنفس الاتقان والتفاني الذي تتطلبه استراتيجية الحرب المطلقة ضد الاحتلال. وقد أدى منهج حركة المقاومة، الساعي إلى تحقيق المكاسب السريعة حتى لو تطلب ذلك استهلاك عناصر العمل المستقبلي وعدم ترك أي احتياط (بكلمة اخرى، مراهنة المستقبل على مكسب فوري في الحاضر كما يفعل المقامر)، إلى فقـدان الكـوادر المخضرمة وغياب العناصر القيادية القادرة على إدارة العمل من الداخل ومحاولة معالجة الامور بالمال، مما ادى، نهاية، الى تراجع دور العمل المنظم في الارض المحتلة الذي يُدار من الخارج.

ويلاحظ أن العمل العسكري في الارض المحتلة يسلك اتجاهات جديدة في الآونة الأخيرة،